

**الفصل الأول
علاقة النص
بالأسطورة**

النصوص المقدسة

توصل علماء الأديان من خلال دراستهم لعقائد المجتمعات البشرية إلى أن لكل دين نصوصاً مقدسة^٩، فعقائد المجتمعات الإنسانية، سواء كانت بدائية، أو متحضرة، قامت على أساس نصوص مقدسة تُوجِّه الإنسان في حياته، وترسم له أسلوب تصرفه في محيطه الاجتماعي، وتحدد له علاقته بما حوله من نبات وحيوان وظواهر طبيعية، وذلك بما اشتملت عليه من أوامر ونواه، وما حوته من ترغيب وترهيب، وما تضمنته من مبادئ ينبغي الالتزام بها، وأخرى يجب عليه تجنبها، فلا يقترب منها، إما لكونها مقدسات تأتي طبيعتها أن يقترب الإنسان منها، أو مدنسات يجب عليه الابتعاد عنها حتى لا يصيبه أذاها، أو يتعرض لعقاب إلهي، لو ناله حرمة الاقتراب منها.

لم يكن - و لن يكون - مضمون هذه النصوص واحدة في جميع الأديان؛ فاختلقت صيغها باختلاف ثقافات المجتمعات الإنسانية ودرجة تحضرها،

٩ (النص: نص - ينصُ نصاً - الشيء: رفعه وأظهره. ونصَّ الحديث: رفعه وأسندته إلى من أحدثه. وكل ما أظهرَ فقد نصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزهري، أي أرفَّعَ له وأسند، يقال: نصَّ الحديث إلى فلان: رفعه.

والنص (جمعه: نصوص): الكلام المنصوص، والنص من الكلام: هو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل. ونص لقرآن ونص السنة: ما دلَّ ظاهر لفظها عليه من الكلام.

المقدس: قدَّس - قدَّساً وقدَّساً - طَهَّرَ وتبارك. قدَّسَ اللهُ فلاناً: طَهَّرَهُ وبارك عليه. وقدَّسَ الرجلُ اللهُ: تَزَهَّه ووصفه بكونه قدوساً، وقدَّسَ اللهُ: طَهَّرَ نفسه له، يقال: " نحن نسيح بمحمدك ونقدس لك.

القدس: الطَّهْرُ، ومنه نيل للحنة: حضيرة القدس. وروح القدس: جبريل الكَلْبَل، وفي الحديث: " روح القدس نفع في روعي "، والتقدیس: التَّطْهِير، وتقدَّس: تطهَّر، والأرض المقدسة: المطهرة. والمقدس في النصرانية: الخبَر. حكى ابن الأعرابي: لا قدَّسَهُ اللهُ: لا بارك عليه. والمقدس: المبارك. وقيل: لا قدَّستُ أمةً لا يؤخذُ لضمينها من قوبها، أي لا طَهَّرت.

[لسان العرب: مادة: نص، وقدس.]

بالإضافة إلى تباين شكلها وصورتها، تبعاً للعصر والزمن، فالنصوص المقدسة في المجتمعات البدائية كانت على شكل رسوم وصور، عبرت عما يريده الإله - طبقاً لاعتقاد البدائي - من الإنسان، فعلاً واجتناباً حتى ينال رضاه فيحصل على الثواب، أو يتسبب في غضبه فيقع عليه عقابه، فقد اشتهر بين البدائيين أنواع عديدة من الممارسات التي تحميهم من غضب الإله - حسب اعتقادهم - ، ومن أشهرها: تقديم القرابين للآلهة، أو لأولئك الذين يعتقدون أنهم يملكون من القوة ما يستطيعون بها حمايتهم من الشرور كالساحر والكاهن وغيرهما ممن أحاطوا أنفسهم بجو من الغموض والأسرار التي تخاف البدائي منها، فعمل على إرضائها لحمايته والدفاع عنه.

قد يصل هذا التقديس للأشخاص لدرجة التأليه، وترجع فكرة الإنسان " الإله "، أو الكائن البشري الذي يتمتع بقوى إلهية أو خارقة للطبيعة - في جوهرها - إلى تلك الحقبة الأولى من التاريخ الديني الذي كان يُنظر فيها إلى الآلهة والبشر على أنهم كائنات من نوع واحد تقريباً، وذلك قبل أن يفصل بين الفئتين تلك الهوة الواسعة السحيقة التي ظلت قائمة بينهما في مراحل التفكير التالية.

وعلى ذلك، فبينما تبدو فكرة تجسد الآلهة في صورة بشرية غريبة بالنسبة لنا، فلم يكن فيها ما يدعو إلى العجب أو الدهشة بالنسبة للإنسان الأول الذي لم يكن يعتبر " الإنسان الإله " أو " الإله الإنسان " سوى درجة أعلى وأسمى من نفس تلك القوى الفائقة للطبيعة التي ينسبها بكل صدق ويمان إلى نفسه هو.^{١٠}

ولما كانت كلمة الإله عند الإنسان البدائي مواكبة لكل أنشطة الحياة، فقد احتاج مفهومها في تفكيره إلى الاقتران بشخص، كما هو الحال في كلمة " مانا "، إذ جاء في المعجم العلمي الذي ألفه " ف. ر. ليمان F. R. Lehmann " أن كلمة: " مانا " يقترب تصورهما في الفكر البدائي من كلمة: " تابو " ^{١١}،

(١١) كلمة بولينيزية، أصلها في هذه اللغة: " Tapu "، اكتشفها الرحالة " جيمس كوك James Cook " في الجزر الواقعة في المحيط الهادى، وذلك في عام ١٧٧٧ م، وهى من الكلمات التى يصعب ترجمتها ترجمة دقيقة، ولذا أصبحت مصطلحاً علمياً في الكتابات الأنثروبولوجية، والاجتماعية، ولدى علماء الأديان في جميع اللغات. ويقصد بها الأشياء المقدسة - وكذلك الأشخاص - التى لا يجوز لأحد الاقتراب منها، وإلا عرض نفسه للخطر، أو دنس الشعائر التى يمارسها، ولا يقتصر مبدأ التحريم على مجرد للمس فحسب، بل يتعداه إلى الرؤية والكلام وتناول الطعام. فإن رؤية الأشياء المقدسة محرمة تحريماً تاماً على غير المقدس. وهناك بعض الطقوس عند " الأرانتا Arunta " تفرض على أفرادها صمتاً تاماً، فيحرم الكلام بطريقة حربية في الاحتفالات الدينية الكبرى. كما أن هناك بعض الكلمات المعينة التى لا ينبغي أن يتفوه بها الأفراد، كأن لا يذكر مثلاً اسم الميت في فترة الحداد إلا همساً، وإذا اقتضت الضرورة. كما تتضمن فكرة التحريم، فكرة القداسة، إذ أن كل ما هو مقدس، يعتبر موضوعاً للتبجيل والاحترام، فيحرم لذلك ذبح الحيوانات أو تناول النباتات المقدسة. [راجع إسماعيل ٩٠ - ٩٢]

يرى " NÖLLE " أنها تودى معنى كلمة " Mana " (طاقة سحرية)، إذ يلاحظ كلا المعنيين فى تصور المقدس (التابو) لدى الشعوب البدائية، ولا يقتصر تحريم الاقتراب على الأشياء، أو الأشخاص المقدسين - لأن لديهم الطاقة السحرية أو تكمن فيهم القوة الغيبية -، بل تتناول أيضاً كل ما حرمه الكاهن في المجتمعات البدائية؛ فتصان حرمة رئيس القبيلة، طبقاً للعادات والتقاليد الدينية، ويحرم لمس الحائض والنفساء، وكذلك الميت، وإلا لحق الضرر من يخالف هذا. وعليه فيكون معنى (التابو): لا يجوز فعل كذا..... أو لا ينبغي الاقتراب من كذا، إما لقداسته، أو لدنسه ونجاسته.

ويرى " فرويد Freud " في كتابه عن " الطوطم والتابو " أن أقرب ترجمة للكلمة هي: " الخوف المقدس "، لأنها تجمع بين خاصية القداسة التى تتمتع بها الأشياء التى تعتبر (تابو)، وبين التحريمات والقيود التى تفرض على الناس إزاء هذه الأشياء (كتحریم لمس الحائض والميت.....إخ). وتختلف قيود (التابو) عن القيود الرتيبة، في أنها لاتصدر عن أمر إلهي، ولكن الناس أنفسهم يفرضونها بأنفسهم، كما تختلف عن النواحي الأخلاقية، في أنها لاتدخل ضمن نظام متماسك يرر لنا هذه التحريمات، ويبين أسبابها وأصلها، ولذا فإن قواعد التحريم في (التابو) تُقبَل على علاقتها كأمر لأمفر منه.

ولم يكن السبب في هذا وجودها في مطقة المحيط الهادى - كما هو الحال في كلمة: "تابو" - بل لأنه يتردد ظهورها في كل الأديان، بأشكال وصيغ مختلفة - كما جاءت في نصوصها المقدسة -؛ فتصورها عند البدائي يقترن بشخص، ومن هنا لا يمكن للمرء أن يوضحها بدون كائن حى تضاف إليه، فهى مثل الروح لا تنفك في مفهوم البدائي عن جسم تحمل فيه. ^{١٢}

لم تحتف هذه الظاهرة - ظاهرة تجسيد الإله أو المقدس في شخص - في عقائد المجتمعات المتحضرة، أى التى قطعت شوطاً كبيراً في استخدام العقل في تجريد المعانى، والقدرة على تصور المعانى المجردة، فقد ظلت هذه الظاهرة منتشرة في جميع العقائد، سواء كانت في صورتها البدائية أم في شكلها الحضارى. نراها عند البابليين، والأشوريين والفينيقيين، وكذلك عند الفراعنة الذين تركوا لنا آثاراً حضارية تنبئ عن تفكير سام واستعمال للعقل في مجالات الحياة المختلفة، بل وجدت صور التجسيد الإلهى لدى الشعوب التى تؤمن بالأديان السماوية؛ فقد صارت الكلمة جسداً في العقيدة المسيحية، ألا وهو جسد عيسى عليه السلام، إذ لا تختلف عقيدة المسيحيين فيه كثيراً عن ظاهرة تجسيد الإله عند الأديان البدائية. ولا أكون مغالياً إذا قلت: إنها موجودة - ولكن بشكل مختلف - عند المسلمين في صورة تقديس الأشخاص ورفعها إلى مقام

ويعتقد بعض الأنثروبولوجيين أن (التابو) هو أقدام قاتون مكتوب للجنس البشرى. وتحريمات (التابو) تحريمات قاطعة، ولذا فإن حرق (التابو) يستتبع بالضرورة توقيع العقوبة والجزاء ضمناً، وإن كانت هناك حالات يتولى المجتمع ذاته توقيع العقوبة على المعنى فيها، على اعتبار أن حرق (التابو) يلحق الأذى، ليس بالشخص وحده، وإنما بالمجتمع ككل، وجعله هو نفسه (تابو)، أى مصدر للأذى، لأن لـ (التابو) القدرة على الانتقال من شئ لآخر، أو من شخص لآخر.

(انظر: "Nölle": ٢٨٤، و " فريزر Frazer " ١٣٠)

يكان يكون قريباً من مكان الألوهية، لا فرق في ذلك بين سنة وشيعة، فإذا كان الشيعة قد قدسوا الأئمة ونسبوا لهم العصمة والقداسة، فإن بعض أهل السنة قد قدسوا " الأولياء " وأصحاب الأضرحة، ونسبوا لهم أعمالاً لا يقدر عليها إلا الخالق ﷻ. ولولا وجود القرآن الكريم وحفظ الله لنصوصه من التبديل والتحريف: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿١﴾ لشاع بين المسلمين ظاهرة تقديس الأشخاص بالدرجة التي هي موجودة عند البدائيين، وربما وصل التقديس لبعضهم إلى مرتبة الألوهية.

تنحدر مياه الأنهار من منابعها صافية نقية، لا تشوبها شائبة، ولا تتعلق بما أوساخ أو أقدار، فلم تمتد إليها يد لتعكرها، ولم تجرف في جريانها هواماً فتغير لونها، أو طعمها، أو ريحها، فهي صالحة للشرب ولاستعمالات الإنسان المتعددة دون أدنى خوف من نقلها للميكروبات المسببة للأمراض المتعددة لمن يستعملها، غير أنها في انحدارها من مصابها تجرف معها ما يقابلها من نفايات الطبيعة ومخلفات الإنسان، فتمتزج بما عناصر بيئية، غالباً ما تكون مضرّة لمن يستعملها، كما أن من يعيش على ضفاف مجراها يقذف بفضلاته إليها، ويستخدمها في إزالة ما علق بجسمه أو بثيابه من أوساخ، كما يرمى إليها بمخلفات حرّفته، الأمر الذي يجعلها كلما بعدت عن مصابها حملت الكثير مما يغير من صفاتها، فبعد أن كانت نقية صافية تصبح بما علق بها بعيدة عن النقاء والصفاء.... وكلما بعدت عن منبعها أصبحت - تبعاً لنسبية البعد - غير صالحة للاستعمال من جراء ما جرفته معها عبر جريانها من مسببات للعلل والأمراض.

كذلك الأديان تبدأ - على يد مؤسسيها في الأديان الوضعية، وعلى لسان من أرسلهم الله من الأنبياء إلى عباده في الأديان السماوية - صافية نقية، في

مبادئها وقيمها، لا تختلط فيها التصورات الإنسانية، ولا تمتزج فيها الأساطير والخرافات، وذلك في مجالات متعددة:

١ - **التوحيد**: يقوم الاعتقاد على أساس وحدانية الخالق، القادر، المتصرف في الكون، وفي حياة عباده، لا يشاركه أحد في ذلك، وليس له والد ولا ولد. ثم لم يلبث الأمر بمرور الزمن أن يظهر على سطح الفكر الإنساني من يشاركه في التقديس: ومن يقاسمه في التأثير - كما يعتقد ذلك العوام ويؤيدهم في ذلك بعض رجاء الدين - على مجريات حياة الإنسان، فظهر " الإله الإنسان " في الأديان الوضعية، إذ " ترجع فكرة " الإله الإنسان " أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوة خارقة - فى جوهرها - إلى تلك الحقبة الأولى من التاريخ الدينى التى كان يُنظر فيها إلى الآلهة والبشر على أنهم كائنات من نوع واحد تقريباً، وذلك قبل أن يفصل بين الفئتين تلك الهوة الواسعة السحيقة التى ظلت قائمة بينهما فى مراحل التفكير التالية. وعلى ذلك فبينما تبدو فكرة تجسيد الآلهة فى صورة بشرية فكرة غريبة بالنسبة لنا، فلم يكن فيها ما يدعو للعجب أو الدهشة بالنسبة للإنسان المبكر الذى لم يكن يعتبر ' لإنسان الإله " أو " الإله الإنسان "، سوى درجة أعلى وأسمى من نفس تلك القوى الفائقة للطبيعة التى ينسبها بكل صدق وإيمان إلى نفسه هو ".^{١٣}

كما ظهر "الإله الإبن" فى بعض الأديان المنسوبة إلى السماء: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ

قَالَهُمْ اللَّهُ أَفَّ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
 وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا
 أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا
 أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣٢]

لم يكتف اليهود في مجال تعدد الآلهة بالقول بينوة عزيز ابن الله، بل عبدوا
 آلهة أنثوية متعددة منها على سبيل المثال:

- الإلهة " عشروت - أناة Astar-Anat " ، وهي ابنة الإلهة
 " عشيرة " الكنعانية.... وكان الكنعانيون يعبدونها إلى جانب
 "إشتار" (Ishtar) نجمة الصبح (أو العزى) .

- " الكروبيم " (Cherubim) ، وهي صورة أو منحوتات، ذات
 أشكال بشرية بمنحة تشكل جزءاً من الهيكل

لكن " الكروبيم " وهي منحوتات الملائكة الصغيرة المنحثة، لم تشذ عن
 هذه القاعدة فقط، بل أصبحت موضوع عبادة خاصة، واستمرت وتطورت
 حتى عصور متقدمة جداً، ومازال القباليون (أتباع طريقة " القبالة " الباطنية
 السرية شبه السحرية) يعبدونها إلى اليوم. وأحد اليهود المرموقين الذين ساعدوا
 على بقاء هذه العبادة وتطويرها واستمرارها هو: موسى بن ميمون، الفيلسوف
 الأندلسي المشهور في كتابه " دلالة الحائرين " . وأتباع القبالة إلى اليوم يراقبون،
 وهم بحالة من العبادة التأملية، منحوتة تمثل اثنين من " الكروبيم " متعانقين،
 مخافة أن يدير أحدهما ظهره للآخر، وهي علامة شؤم للعالم أجمع.

- " الشخينة " (Shekhina) من مصدر " شخن " أو سكن، أى
 مسكن الله، وقد جعل منها التلموديون، ومن بعدهم القباليون

إلهة أنثى، وهي تشكل أحد أركان " القبالة " حتى يومنا هذا.

- " رباعية القبالة " (Tetrad)، وهي تطوير تأملى لاسم الجلالة الرباعي، " ي ه و ه "، وتتألف هذه الرباعية من "عائلة" الله، أى الأب، والزوجة، والابن، والابنة، وهي جزء مهم من القبالة اليهودية، إذ تعتبر إلهة " القبالة " الرئيسية، وللقبالة أتباعها حتى اليوم.

- " ماترونيث " (Matronit)، وهي كلمة مشتقة من (Matron)، أى السيدة أو الشفيعة. وهي الإبنة، أى الإلهة الرابعة لدى القباليين، وهي تمثل الطهارة والاختلاط الجنسي والأمومة والحرب.

- " ليليث " (Lilith)، وهي مأخوذة من مجمع آلهة السومريين، وهي تمثل الشر. وقد دانت عبادتها، أو الاعتقاد بها لدى القباليين واليهود الحسيم (أى المتزمتين) حتى قرننا هذا. والاعتقاد بها اليوم هو نفسه تماماً كما كان لدى السومريين في عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، دون اختلاف يذكر.

- " السبت " أو " السابات " (Sabbath)، أى نهار الراحة الأسبوعي، وقد جعل بعض فئات اليهود منه إلهة تمثل الجنس والعلاقات الجنسية.^{١٤}

كما وجد في البعض الآخر: الولي، والإمام، والمقدس، ومن يدعى أنه قادر على صنع المعجزات، وذلك كله تراكمات الفكر الإنساني على الدين عبر القرون. ومما ساعد على ذلك أن الإنسان بطبيعته الإنسانية يميل إلى أن يرى

الإله مجسماً، لأن التصور المجرد عن التجسيم يحتاج إلى قدرة فكرية خاصة، ليست موجودة عند معظم أفراد المجتمعات الإنسانية، ولذلك ظهر تجسيد الإله على اختلاف في الأشكال والصور، فبعضهم تصوره في ظواهر الكون المتعددة، والبعض الآخر في إنسان يمشى على الأرض أو أصنام وأوثان، فإذا اعترضت على هذه الظاهرة قوبلت بتفسيرات وتأويلات بعيدة عن الفكر السوى، مثل: كلمة الله تجسدت فصارت إنساناً، أو أنهم وسيلة نتقرب بها إلى الله، ولم يخرج هذا عما قاله كفار قريش: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٢٣]

[٢]

كما ظهرت هذه الظاهرة في صورة أخرى في بعض مجتمعات التوحيد، فقدس الموتى في القبور، كما رُفِعَ الأولياء إلى مقام الألوهية، وأوحى بعض الأديعاء إلى العامة بأنهم قرييون من المولى ﷺ، فهم مُقَدَّسون لا يرد الله لهم دعاء.

عمق موقف بعض رجال الدين هذه الظاهرة بتفسيرهم لبعض آيات القرآن الكريم بما يوحى لمن يسلك هذا السلوك بأنهم ينفذون ما أمر الله به، وبهذا أضافوا هذا السلوك البعيد عن قيم الدين وتعاليمه إلى النصوص المقدسة، مما دعا العامة إلى ممارستها ظناً منهم أنهم يمارسون ما أمر الله به، وساعد بعض رجال الدين على غرس هذا المفهوم في نفوس المتدينين عدم تسجيل النصوص الدينية كتابة، بل كانت تنقل شفاهاً مما سهل دخول ما يريده علماء الدين والمنتسبون إليهم إلى هذه النصوص، فأصبحت هذه الظاهرة التي تنافي التوحيد قضية دينية مسلمة بنصوص، ومدعمة بآراء من يتلقون منهم تعاليم الدين.... حتى دخلت هذه الظاهرة في المجتمعات الدينية التي تؤمن برسالة سماوية، فقال اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ولم يسلم المجتمع الإسلامي من

ظهر هذا في سلوك المسلمين، على لرغم من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، إذ عندما مالت صبيعة المجتمع الإسلامي إلى تجسيد المقدس، ظهر هذا الاتجاه بين المسلمين في صبرة تقديس قبور آل البيت، فاندفع بعض علماء الدين وراء انسياب هذه الظاهرة في المجتمع، فبحثوا عن نصوص تؤيدها، فوجدوا في القرآن الكريم مايساعدهم على تأييدها والدفاع عنها، إذ فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] بأن المسلم يجب عليه أن يتمسح بقبور آل البيت، كى يُغْفَرَ له ذنوبه، ويدخل الجنة، وإلا فيأتى يوم القيامة مكتوب على جبينه: " آيس من رحمة الله "، بل إنهم كفروا من يجافى آل البيت. ١٥، وغفلوا، أو تغافلوا رأى من قال: إلا المودة في القربى، أى إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح.

لم يقتصر الأمر على تقديس قبور آل البيت، بل شمل التقديس أيضاً من سموهم " أولياء الله "، فشدوا الرحال إلى هذه القبور وقدموا لها النذور، فذبحوا على أعتاب قبورهم الذبائح مثل ماكدان يفعل البدائي لمن كان يقدهه ويرفعه إلى مرتبة الألوهية، ولم يعوزهم الدليل - على ما يفعلون من ممارسات بعيدة عن تعاليم الدين وقيمه ونقاء عقيدة التوحيد فيه - من القرآن الكريم ففسروا قوله

١٥ (روى أن رسول الله ﷺ قال: " من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد مات يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: " آيس من رحمة الله "، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة ". [لزخشرى جـ ٤ ص ٢١٤-٢١٥]

تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) [يونس: ٦٢]، بأن الأولياء هم الذين يُذَكَّر الله برؤيتهم، ثم يذكرون رواية عن عمر رضي الله عنه يقول: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من عباد الله عبادة ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم!!!!!!...!!" بل وصل الأمر إلى رفع مقام "الولاية"، فقالوا: "إنها جزء من النبوة"، بل وضعها بعضهم في مقام أرفع من ذلك، متجاهلين أن الله عرفها في الآية التي تليها تعريفاً لا يتنافى مع العقل، ولا يتجاوز وضعهم كبشر مثلهم مثل غيرهم من الناس، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٦) [يونس: ٦٣]، فلم يخرجهم عن طبيعتهم البشرية، ولم يرفع مقامهم إلى أعلى من كونهم أناساً آمنوا و اتقوا.

٢ - البساطة والسهولة: يتركز الهدف الرئيس للتعاليم الدينية على تقويم سلوك الإنسان، والمحافظة على ما يتعلق به من: نفس، وعقل، ومال، وذرية، ولهذا كانت التعاليم الدينية في بداية ظهور أى دين لا تخرج عن هذا الإطار، فكانت بذلك بسيطة وسهلة، لا يجد الإنسان في الالتزام بها مشقة، فهو يمارس طقوسه بسهولة، فليس فيها تعقيد، ولا تتضمن ما يرهقه، أو ما تعجز قدرته عن القيام بها.... لكن رجال الدين والسحرة أرادوا السيطرة عليه، ومراقبة كل حركاته وسكناته في الحياة العادية، فأوهموه بأنه لا يكون متديناً حقاً إلا إذا نفذ ما يأمرونه به، فشرعوا له طقوساً في كل مناحي حياته، وفرضوا عليه - باسم الدين - ممارسات يلتزم بها في كل خطوة يخطوها، وفي كل عمل يقوم به من وقت قيامه من النوم صباحاً حتى ذهابه إلى الفراش مساءً، مع فرض تقديم

القرابين عليه في كثير من أعماله اليومية.

ولما كانت الطقوس لازمة أساسية من لوازم الدين، إذ لا يوجد دين بدون طقوس^{١٧}، فقد ركز الساحر والكاهن على إقناع المتدينين بأن عقيدتهم لا تكتمل إلا إذا قاموا بالطقوس التي يشرحونها لهم، فطفقوا يزيدون فيها حتى تخللت في كل حركة - أو سكون - يقوم بها المتدين، وإن لم يفعلها يعتبر غير متدين (أو كافر)، واستطاعوا بذلك السيطرة على العامة بما أوهوهم به بأن الطقوس من الأمور التي يلزم القيام بها، وإلا حلت عليهم اللعنة، وبهذا كُبل الإنسان بأوامر ونواه في كل حياته، حتى أصبح في بعض الأحيان عاجزاً عن القيام بها، وذلك مخالف لفلسفة الدين في حياة الإنسان.

لم يخل مجتمع الكتب السماوية من هذه الظاهرة، فقد مارس رجال الدين في هذه الأديان نفس الدور الذي قام به الكهنة والسحرة في الأديان البدائية، حيث فرضوا سيطرتهم على المؤمنين، وذلك بمطابقتهم بأعمال تجعلهم متعلقين دائماً بمن يبين لهم هذه التعاليم التي لها دخل في كل أعمال الإنسان اليومية كتبوها بأيديهم وأوهوهم أنها من عند الله، سواء منه ما يتعلق بالطقوس والعبادات، أو تخلل في أعمالهم اليومية... حتى وصل إلى المعاشرة الجنسية، فقد أكسبها قيمة دينية، خاصة إن تمت بعد دخول يوم السبت، فتقام وليمة طويلة جداً مساء يوم الجمعة، تتخللها ألوان مختلفة من الطعام والمشروبات، وصلوات وأناشيد موجهة إلى إلهة " السابات " التي تمثل العروس بما، وتنتهي هذه الوليمة عند منتصف

١٧ (يقول " سانت جيمس Saint James " : " إن العقيدة التي لا تدور حولها أى شعائر أو طقوس تموت، لأنها تكون وحيدة ومنعزلة "، ويقول آخر: " إن المرء لا يكون متديناً إن لم يكن سلوكه خاضعاً - بشكل ما - للخوف من الله أو حب الله. ومن ناحية أخرى فإن الشعائر والطقوس المجردة من كل اعتقاد ديني لا يعتبر ديناً ". [فريزر ص ٢١٨] .

الليل، وهو الوقت المحدد " تلمودياً " للمعاشرة .
 ونجد في بعض كتب التعاليم الدينية المعاصرة نماذج من هذه الصلوات
 والأناشيد الموجهة للإلهة " السابات " اخترنا منها خاتمة أنشودة الزوج قبل
 ولوجه مخدع الزوجية، حيث تنتظر عروسه :
 ما أحلى رُقادك أيتها الملكة " السابات " .
 فلنسرع نحوك، تعالى، أيتها العروس المختارة.^{١٨}

وهكذا تسللت طقوس وعبادات لم تكن موجودة في بداية ظهور الدين، ولم
 يأمر بها موسى ﷺ. سجلها علماء الدين اليهودي فيما سموه: " التلمود " ^{١٩}
 التي أكسبوها سلطة تشريعية تفوق سلطة التوراة نفسها، فهي تعتبر سلطة إلهية

١٨ (ديب ص ٥١)

١٩ (ينقسم التلمود إلى جزأين هامين :

١. " المشناه Mishnah " ، وهو الأصل (المتن) .

٢. " جمارا Gemara " ، شرح مشناه .

ومشناه : أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة . جمعها " يهوذا هاناسي Judo Hanasi " فيما

بين ١٩٠ و ٢٠٠م أي بعد قرن تقريباً من تدمير تيطس الروماني الهيكل .

أما " جمارا " فثانان : جمارا أورشليم (فلسطين) ، وجمارا بابل .

جمارا أورشليم (أو فلسطين) هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين (أو بالأخص علماء مدارس

طبرية) لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م .

وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دوها علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه سنة

٥٠٠م تقريباً .

فمشناه مع شرحه جمارا أورشليم يسمى " تلمود أورشليم " ، ومشناه مع شرحه جمارا بابل يسمى " تلمود بابل

" . وكلاهما يطبع على حدة .

أي أن المشناه : هو خلاصة " القانون الشفهي " (Oral Law) الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة

الفريسيين، التابعين لأهواء النفس، ونشطت حركتهم بعد ظهور عيسى بن مريم ﷺ مما أدى أخيراً إلى

تسجيل المبادئ التي قامت عليها دعوة الفريسيين . [خان ص ١١ - ١٢ نقلاً عن : " Jewish

Encyclopaedia نيويورك : ١٩٤٨ ، ج ١٠ مادة : " التلمود "]

عند اليهود الأورثوذكس (مستقيمي العقيدة)، ومن هنا تعتبر (تعاليم) التلمود إلزامية وثابتة غير متغيرة. أما اليهود المحافظون والإصلاحيون فلا يقبلون السلطة الإلزامية الكلية للتلمود، رغم اعترافهم بالدور العظيم الذي لعبه التلمود في تحديد وحسم عقائد اليهودية أو نظرياتها.

أما القانون الشفهي، ويسمى بالعبرية: (TORAH SHEBEPAL PEH) فجزء من القانون اليهودي المعترف به، غير موجود في التوراة، اختلقه الحاخامات بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة تماسكهم وتسلطهم على المجتمع بالتالي.

وقد ابتدع حكماء اليهود، ابتداءً من الفريسيين قوانين أخرى مروية عن موسى (كما يزعمون) غير تلك المدونة في التوراة، وسموها بالقانون الشفهي، زاعمين أنه حيث أن موسى لم يكتب هذه القوانين، فلا يجوز لأحد كتابتها، وكان الحاخامات يتناقلوه سراً من جيل إلى جيل. وبعد التمرد اليهودي الفاشل على اليونانيين سنة ١٣٥م ميلادية بقيادة " باركوحبا Barkochba " بدأ اليهود يجمعون هذه القوانين السرية في كتب " التلمود " خشية ضياعها. " ٢٠

وهكذا أدخل الحاخامات إلى الدين ما ليس منه، وصدق الله إذ يقول:

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩) [البقرة: ٧٩]

جاء عيسى بن مريم عليه السلام ليكمل الرسالة الذي نزلت على موسى عليه السلام: " مَا جِئْتُ لَانْقُصَ بَلِّ لِكَمَلٍ * فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِلَى أَنْ تَرَوْا السَّمَاءَ وَالْأَرْضُ

لَا يَزُولُ حَرْفٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. " ٢١، فرسالته لم تكن تشريعاً، ولكن دعوة إلى أخلاق اختفت من المجتمع اليهودي، فلم يشرع قانوناً، ولم يفرض عبادات، بل دعا قومه إلى التحلى بالأخلاق الحميدة، وعدم الالتزام بما فرضه كهنة اليهود عليهم، مدعين أنه مروى عن موسى عليه السلام، ولذلك كانت دعوة عيسى بسيطة وسهلة، يستطيع كل إنسان الالتزام بها دون مشقة أو حرج، لكن من نصّبوا أنفسهم أوصياء على رسالة المسيح، كونوا مؤسسة دينية، لها من القداسة مافاق قداسة الأنبياء، ولها من المصداقية في المرجعية الدينية ما تخطى وحى الله، فبدعوا يصدرن قرارات كنسية غير قابلة للنقد أو الاعتراض عليها، لأن لها من القوة الإلهية - حسب زعمهم - ما يساوى وحى الله، فقدسوا رئيسهم "البابا"، وأوهمو العامة أنه يتلقى الوحي من روح القدس، فقراراته لا تُنقض، ولا يصح الرجوع عنها، حتى من "البابا" نفسه، وإلا كان مغيّراً لوحي جاءه من الله عن طريق الروح القدس. فما يتلفظ به، وما يأمر به وحى يجب على المؤمنين الالتزام به، وإلا حلت عليهم لعنة الله. وليس هناك قوة على ظهر الأرض تستطيع أن تجبر "البابا" على الرجوع عن أمر أصدره، أو تحمله على الاعتذار عن إساءة لحقت بأى طائفة من جراء ما صرح به.

ضيقت قرارات الكنيسة على المسيحيين في شئون حياتهم في مجالات عدة، من أشهرها علاقة المرء بزوجته، فلم تعترف بطلاق إلا لعلة الزنى، فمن يطلق لغير هذا السبب لا يعترف بطلاقه وبالتالي لا يستطيع الزواج مرة أخرى، وفي هذا حرج ومشقة على كثير من أتباع هذا الدين. ويعتبر هذا تشدداً لم يكن في

بداية هذا الدين ^{٢٢} ، بل تسرب إليه عبر القرون بواسطة رجال الدين .
 لقد كثرت الطقوس ^{٢٣} في الفكر الديني المسيحي على يد رجال الدين؛
 مدعين أن ممارسة هذه الصقوس انحدرت إليهم من العهد القديم، مثل: طقس
 إبراهيم وإسحاق ويعقوب بالنسبة لتقدم لذبائح، وطقس ملكي صادق الذى
 استخدم الخبز والخمر (على مثال السيد المسيح)، وطقوس الشريعة الموسوية
 التى أمر بها الرب موسى. ولم يقتصر على هذه الطقوس التى انحدرت إليهم -
 كما يزعمون - من العهد القديم، بل أضافوا إليها طقوساً من العهد الجديد
 كطقس الختان. وزعموا أن السيد المسيح قد خضع لطقوس العهد القديم،
 فقدسها بممارسته لها، وختمها بطقس الختان (لوقا ٢: ٢٢ - ٢٥)، وأمر
 الأبرص بإتمام طقوس التطهير لدى الكاهن (متى ٨: ٤)، وعلم تلاميذه أموراً
 كثيرة بخصوص الخدمة والقداسة (أعمال الرسل ١: ٣) . ولما أراد أن يبارك
 الأطفال وضع يده على رؤوسهم ليباركهم (متى ١٩: ١٥) وكذلك
 ممارسة أسرار الكنيسة تتم بصورة ملموسة (محسوسة)، ففي المعمودية لا بد من
 التغطيس في الماء المصلى عليه وفي سر الميرون و سر مسحة المرضى ^{٢٤} لا بد

٢٢) انظر كتابنا : Zu fragen der Frau im Islam

٢٣) الطقس " rite) : كلمة يونانية " تاكسيس taksis " . بمعنى نظام وترتيب، وفي الاصطاح الكنسى : نظام
 وترتيب القائمين بالخدمة الكهنوتية والصلوات العامة والخاصة، وترتيب وإقامة أسرار الكنيسة السبعة (مثل
 استخدام الخولاجى فى القداس) وصلوات التبريك والتدشين والتكريس والرسامات والتنجيز والابتهاالات
 وشكل الكنيسة ورتب الكهنوت وملابس الخدم . [St. takla.org]

٢٤) الميرون ومسحة المرضى من أسرار الكنيسة السبعة، وهى : ١. سر المعمودية، ٢. سر الميرون، ٣. سر
 التوبة والاعتراف، ٤. سر الانخاريسا (التناول)، ٥. سر مسحة المرضى، ٦. سر الزبيحة، ٧. سر الكهنوت.
 والميرون كلمة يونانية، معناها الزيت الذى يدهن به الشخص، ويكون لحلول الروح القدس فيه بمواهبه ونعمه،
 وبركاته. وفي سر مسحة المرضى تصلى الكنيسة من أجل روحانيات الإنسان قبل جسده فى جمعة ختام الصوم.

من المسح بالزيت وكذا في تناول. [St talka.org]، وغير ذلك الكثير من الطقوس التي أدخلها رجال الدين على العبادات النصرانية^{٢٥} ومن أشهر ما ابتدعه: الرهبانية، يقول تعالى:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد: ٢٧]

فهم كانوا مثل رجال الدين في كل الأديان، يضيفون إلى العبادات والممارسات الدينية أموراً لم تكن موجودة في بداية ظهور الدين، وذلك بدافع الاحتياط في الدين، أو لربط الإنسان في كل تحركاته الحياتية بهم حتى يسيطروا عليه سيطرة كاملة.

٢٥) فإذا استعرضنا الصلاة عندهم، وجدناهم فرضوها لأنواع ومقاصد عدة منها: صلاة التعبد والخضوع مقابل الإحسانات التي يقدمها الله للإنسان، وهي صلاة الشكر، وصلاة لطلب البركة، كى يبارك الله في ثمار الأرض والمحاصيل، وصلاة لطلب المعونة في الحرب، والصلاة طلباً للمعونة في المرض، وصلاة لطلب المعونة في الأحران، وصلاة للشفاعة. [St. takla.org]

الخرافات

الخَرْفُ: فساد العقل من الكبر، وقد خَرَفَ الرجلُ يَخْرِفُ خَرْفًا، فهو خَرْفٌ: فسد عقله من الكِبَرِ، والأُنثى: خَرْفَةٌ، وأخْرَفَهُ الهَرَمُ، قال أبو النجْم العِجْلِيُّ:

أقبلت من عند زيادٍ كالخَرْفِ * يَخُطُّ رِجْلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلِفٍ

والخرافة: الحديث الباطل مطلقاً، وقيل الحديث المستلح من الكذب، وقالوا: حديث خرافة^{٢٦}، وخَرْفٌ: نسبة إلى الخَرْفِ.

والخرافة: هي عدم التفكير العلمي، إذ لا تبني على تفكير عقلي ولا مبدأ منطقي، ولا تخضع لقياس علمي، فلا يؤمن بها العلماء، ولا يقبلها المثقفون، بل يستسهلها الجهلة، والمنكرون للبحث العلمي والتجارب العملية. وهي قصص وحكايات تعودت النساء في سائر أنحاء العالم أن يحكيها للأطفال في السمر أثناء الليل، وقد يحفظ الأطفال عنهن هذه القصص فيقصونها لبعضهم البعض.

فالخرافات الشعبية هي مجموعة من القصص، وهي أيضاً سلوك بشري من التقاليد الشعبية، يتمثل في عادة قصّ تلك المجموعة من القصص للأطفال أثناء الليل، وممارسة النساء بالذات لمهمة قصّ وحكاية تلك القصص. فالخرافات الشعبية هي بصفة عامة مجموعة من القصص والحكايات تُحكى وفق سُنن وأحكام بعينها، فهي حكايات وصلت إلى رواها بواسطة الحديث والسماع، فحفظوها ونقلوها بواسطة الحديث إلى جمهور آخر من المستمعين، وهذا

٢٦ (ذكر ابن الكلبي في قوله: حديث خرافة، أن خرافة من بنى عُذْرَةَ، أو من جُهَيْتَةَ اختطفته الجن، ثم رجع إلى قومه، فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس، فكذبوه، فحجروا على السنة الناس.

الجمهور بلُغها بدوره بواسطة الحديث والكلام إلى مستمعين آخرين، وهكذا ظَلَّت الأجيال المتعاقبة من الناس تتداول هذه الحكايات وتتوارثها بهذه الطريقة الجليل بعد الجليل.^{٢٧}

انتشرت الخرافات بين الشعوب، فكانت الطبيعة ساحة قتال لكائنات خارقة، خيِّرة أو شريرة، تسكن أجساد البشر ونفوسهم، أو تسكن الأشجار والغابات والأنهار والرياح أرواحاً محببة، أو تدخل الكائنات الحية ملائكة أو شياطين أو تجوب الهواء عفاريت خبيثة. وليس من هذه الأرواح ما يخضع لقانون لا يمكن خرقه، أو يمكن حسابه: فأى روح منها يستطيع أن يبدخل بطريقة معجزة في حركات الأحجار، أو النجوم، أو البهائم، أو البشر. وكانت الأحداث التي لا تنجم بشكل مرئي عن المسلك الطبيعي، أو المنتظم للأجسام أو العقول، تنسب لهذه القوى الخارقة التي تقوم بدور غامض خفى في شئون هذه الدنيا، ينذر بشيء، أو ينبئ بخير، أو يتنبأ بالمستقبل. وكل الأشياء الطبيعية، وكل الكواكب وسكانها، وكل الأرواح والمجرات، إن هي إلا جزر لا حول لها، ولا قوة في بحر خارق للطبيعة.

ومن الملاحظ أنها تجدد صدى لدى الغالبية العظمى من الشعوب، فمن مظاهرها التي تسيطر على عقول العامة، وكثير من العلماء والمثقفين: السحر، ومس الجن، وقراءة الطالع، وعمل الأحجبة، والرقية، والأعمال السفلية، وغيرها من المسميات المنتشرة في قطاعات كبيرة من المجتمعات الإنسانية.

دفعت غريزة الخوف في طبيعة الإنسان إلى الاعتقاد في هذه الظواهر، لأنه يخاف من المجهول، لاعتقاده أنه يحمل الشر له، ذلك الشر الذي قد يسلبه

سعادته، أو يدمر حياته تدميراً كلياً، ولهذا نراه يتعلق بأى شيء يوهمه بالحماية من ذلك الجهول، أو يُؤمّن له مستقبلاً أكثر هناء وسعادة، أو يخلصه مما أصابه من آلام، أو ألم به من منغصات، فهو يصدق العرافين، لأنهم يوحون إليه بأمل مشرق ووعود تريح أعصابه، وتحميها من ضغوط الخوف والترقب لما يأتي به الغد، وتخفف من القلق الذى يعتريه، كلما فكر فيما قد يحمل إليه الغد من أحداث، قد تنغص عليه حياته.

ولهذا اعتقد فى كل ما يريجه من خرافات وأساطير، فاستغل كثير من رجال الدين هذا الجانب الإنسانى، فاندفعوا إلى إقناع الإنسان بهذه الخرافات بغية التربح بالمال. ودفعهم رغبتهم فى إدرار المزيد من المال إلى خداع المزيد من البسطاء المُعَيَّين؛ فبدلاً من الذهاب إلى الطبيب - عند الإصابة بأى نوع من الأمراض - يذهب إلى رجل الدين، ليستخدم "الزيت المقدس"، أو "التراب المقدس"، أو "الماء المقدس"، أو أى شيء يتم تقديسه حسب زعمهم. ونسى هؤلاء أن السيد المسيح طرد تجار الدين ومروجى فكر الخرافة خارج الهيكل (مكان العبادة)، وقال لهم قولته المشهورة: "بَيْتِي بَيْتُ الصَّلَاةِ يُدْعَى، وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمْهُ مَعَارَةً لُصُوصٍ" ^{٢٨}

انتشرت الخرافة فى المجتمع اليهودى، وأخذت صوراً متعددة، منها على

سبيل المثال:

التبرك بالمزوزا:

يضع اليهود المتدينين منهم قطعة من الحديد يثبتونها على إطار الباب الرئيسى للبيت من الداخل، يسمونها: "مزوزا" - وليس لها ترجمة عربية - يتبركون

بها، وذلك بأن يضعوا يدهم عليها عند الدخول. وإذا نظرت إلى " المزوزا " لا تجد عليها من الكتابة سوى اسم الله... حيث أن التوراة تطلب صراحة من اليهودى أن يضع اسم الله في مدخل بيته، ويعتقد اليهود أن هذه بمقدورها حماية البيت من قوى الشر.

القط الأسود:

يتشاءم اليهود من رؤية قط أسود، ففي اعتقادهم أن رؤية قط أسود تجلب سوء الحظ، فإذا رأى اليهودى قطاً أسود، فإن عليه أن يبصق مرة واحدة في الاتجاه المعاكس لاتجاه سير القط.

الحذاء المقلوب:

ينفر اليهود من رؤية الحذاء المقلوب، إذ من غير المستحسن عندهم أن يواجه قاع الحذاء السماء، فكأن الحذاء المقلوب " يمارى " (أى يعكس كمرآة) مافي السماء، وما في السماء أجلّ من ذلك.

المقص:

المقص يستعمل في قص الأشياء وقطعها، فهم يعتقدون أن ترك المقص مفتوحاً في البيت قد يسبب نشوب خلافات العائلية.

المرآة المكسورة:

على المرآة تنطبع صورة المرء، ونكسار المرآة إذن قد يعنى انكسار الصورة، أو الصور التي تنطبع عليها، وتحطم المرآة في البيت ليس بالعلامة الإيجابية في عرف اليهود، إنما تدل على حدوث مكروه.

المرور فوق الأرجل:

لايستحسن المرور فوق جسد شخص نائم، أو من فوق رجلى شخص

ممدوتين، سواء كان نائماً أم لا، خصوصاً إذا كان هذا الشخص طفلاً، فإن هذا قد يؤدي إلى توقف نموه.

السُّلم:

ممنوع المرور من سلم منصوب، لأن هذا - في عقيدة اليهود - يجلب الحظ السيء.

القهوة:

حين لا تجد ملعقة تحرك بها كأس الشاي الموضوع أمامك، فإنك قد تسعى إلى تحريكها بسكين أو شوكة أو قلم. لا تفعل ذلك! إلا إذا أردت ألا تتزوج في السبع سنوات القادمة، هكذا يعتقد اليهود. ومثل هذا العقاب يتلقاه - طبقاً لاعتقادهم - من يجلس عند زاوية الطاولة، إذا قعد أمامها.

الدق على الخشب:

الدق على الخشب عادة تتخطى حدود اليهودية، فالعرب يدقون أيضاً على الخشب من أجل منع الحسد، ومن أجل إبطال لعنة قيلت، وهذا هو الهدف من الدق على الخشب في التراث اليهودي.

رجل الأرنب:

يعتقد اليهود أن وضع رجل الأرنب فوق قلادة معلقة بسلسلة كاف لصنع العجائب.

العدد ١٣:

التشاؤم من العدد ١٣ موجود عند الغربيين، وقد أخذ عنهم اليهود هذا التشاؤم الأعمى، ويقال: إنه في إنجلترا يتجاهلون تماماً العدد ١٣ ففي البناية التي فيها أكثر من ١٣ طابقاً يتجنبون تسمية الطابق ١٣ برقمه، فلا أحد يرغب في العيش في الطابق رقم ١٣ في بناية. وإذا صادف أن كان يوم ١٣ من الشهر

هو يوم الجمعة، فإنه يكون يوماً مشنوماً عندهم. وينقسم اليهود إلى قسمين بشأن العدد ١٣، فالمتأثرون بحضارة أوروبا وتراثها يتشاءمون من العدد ١٣، أما غيرهم من المتدينين فإنهم يرون في العدد ١٣ عدداً عادياً بل بالعكس إن " البار متسفا "، وهو عيد بلوغ الفتى اليهودي تُعمل عندما يكون عمر الفتى هو ١٣ سنة.

لا للرجوع:

من المكروه الرجوع إلى البيت 'أخذ غرض نسيتموه، بعد أن خرجتم من الباب إلى الطريق الرئيسي، هذا يجلب الحظ السيء، فمن الضروري أن يقوم المرء المضطر إلى العودة إلى عمل شيء قبل الدخول من جديد إلى البيت، كأن يعيد ربط حذائه أو أى شيء من هذا القبيل.

وغير ذلك الكثير من الخرافات في الفكر اليهودي.

إن مشكلة الفكر الخرافي تكمن في نفوس بعض رجال الدين الذين يبتذون أموال المُغَيَّبِينَ، هؤلاء الذين ينشرون الفكر الخرافي تحت مظلة دينية من أجل مزيد من التابعين " المسطولين " المحتاجين دائماً لحلال المشاكل، يجرون وراءه دافعين كل ما هو ثمين ونفيس من عقولهم وحياتهم وأرزاقهم، لتزداد ثروة هؤلاء الدجالين النصابين.

الأساطير

سَطَّرَ: أَلْفَ الأساطير، والأسطورة: الحديث الذى لأصل له، ويقال: إن هذا إلا أساطير الأولين، أى مما سطوروا من أعاجيب أحاديثهم. وسَطَّرَ علينا: إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل.

الأسطورة: هى القصة المقدسة التى كان أصحاب الحضارات السابقة يؤمنون بها على أنها كتابهم المقدس. وتميز الأسطورة بعمقها الفلسفى الذى يميزها عن (الليجندة) مثلاً، أو الحكاية الشعبية. كانت الأسطورة فى العصور القديمة مسلماً بمحتوياتها مثل تسليمنا الآن بالعلم، وفى معظم الأحيان تكون شخوص الأسطورة من الآلهة، أو أنصاف الآلهة، ووجود الإنسان فيها يكون مكماً فقط. تحكى الأسطورة قصصاً مقدسة تبرز ظواهر الطبيعة مثلاً، أو نشوء الكون، أو خلق الإنسان، وغيره من المواضيع التى تناولها الفلسفة خصوصاً والعلوم الإنسانية عموماً.

وهى قصة خيالية، أو مختلقة، ترتبط - غالباً - بالظواهر والكوارث الطبيعية وتفسيرها، فلقد تصور الأولون المطر إلهاً يصب الماء من إناء فى السماء، والريح إلهاً ينفخها بمرواح، والشمس إلهاً لأنها تضيء الدنيا. وكان الإنسان الأول يودى طقوساً للحصول على هذه الأشياء، وكان يعيش مع أساطيره. وتعتبر الأساطير حكايات مقدسة لشعب، أو قبيلة بدائية، وتراثاً متوارثاً. ويطلق على هذه الأساطير أحلام اليقظة، ولها صلة بالإيمان والعقائد الدينية، كما تعبر عن واقع ثقافى لمعتقدات الشعوب البدائية عن الموت والحياة الأخرى... ومازالت القبائل البدائية تمارس الطقوس، وتتبع أساطيرها التى تعتبر نوعاً من تاريخها الشفهى الذى لم يدون.

ومن خلال الملاحم تروى الشعوب روايات عن أجدادها وحروبهم

وانتصاراتهم، ورواية السير الشعبية الملحمية. لهذا لا تعتبر الأساطير تاريخاً يعتمد عليه، لأنها مرويات خرافية خيالية؛ فالإنسان البدائي لم يشغل عقله لتفسير الظواهر الطبيعية، وكان يعتبر ويؤمن بأن الشمس والقمر والرياح بشر مثله، لهذا ظهرت أساطير الأولين لدى اببليين والفراعنة والرومان والإغريق والعرب.

فكل شعب من الشعوب الإنسانية له أساطير وأخبار مقدسة، وكل قرية لها أساطير، وكل قبيلة لها أساطير، فهناك أساطير يابانية، وهناك أساطير فرعونية، وهناك أساطير إفريقية، وهناك أساطير أمريكية وأساطير هندية وأساطير بابلية، كما أن هناك أساطير عربية.

ومن أشهر الأساطير في الفكر العربي: الغول، والعنقاء. وقد أكثر الشعراء من ذكرهما، وضربوهما مثلاً في القلة الندرة، كما سيطرت فكرة 'الهامة' في الشعر العربي زماناً، وكذلك الاعتقاد بأن طائراً أو دابة تخرج من رأس القتيل، وتظل هائمة تطلب القصاص، وتردد: "اسقوني اسقوني"، ولا تهدأ حتى يؤخذ بالثأر من القاتل، فتروى من دمه وتسكن. وقد وظف كثير من الشعراء والأدباء في العصر الحديث الأسطورة في ترويح أفكارهم.

خلط الجاهليون معنى الدهر بالقضاء والقدر، وتطورت هذه العقيدة حتى خضعوا لسلطان (مناة وعوض)، وهي أصنام تعني الدهر، فصار الدهر إلهاً من آلهة العرب، وكانت غايتهم الخلود. وفي الأساطير العربية أن الملك "ذو القرنين" طمح إلى الخلود، ووصل مع الخضر إلى عين الدهر، ليشرب منها الماء الذي يعطيه حياة أبدية، لكنه منع من ذلك. وطمح لقمان بن عاد إلى الخلود، وارتبط خلوده ببقاء سبعة نسور على قيد الحياة، آخر نسر اسمه: (ليد)، ويعني الدهر، لكن النسور ماتت، واحداً تلو الآخر، حتى جاء دور (ليد) الذي

مات، وانتهت حياة لقمان.^{٢٩}

أما اليهود فقد تغلغلت الأسطورة في كتابهم المقدس؛ ففي نص التوراة تشابه مع الأساطير اليونانية، بل إن ملحمة الخلق البابلية تتفق مع التوراة بشكل مثير للدهشة، كما اعتقدوا بأن سبب تلوّن السماء بالأزرق هو وجود مياه فوقها.... وغير ذلك من الأساطير التي انتشرت في الفكر اليهودي وبخاصة في الاتجاه الغنوصي، وهي كلمة يونانية "جنوصييس gnosis"، ومعناها: "علم"، أو "معرفة"، أو "حكمة"، أو "عرفان". وتستخدم الكلمة الأخيرة في المعجم العربي للإشارة للغنوصية، والغنوصية حركة فلسفية وتعاليم دينية متنافرة، أخذت شكل أنساق أسطورية جميلة في غاية التنوع وعدم التجانس، انتشرت في الشرق الأدنى القديم في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد. ورغم عدم تجانس أساطيرها وتعاليمها وأفكارها، بل تنافرها، فيمكن القول بأن كل الأنساق الغنوصية تدور في إطار الحلولية الكمونية، وتنطلق الحلولية الغنوصية عادة من رؤية إثنينية ازدواجية صارمة، ترى أن هناك إلهين، وليس إلهاً واحداً: إلهاً خفياً خيراً (إله العهد الجديد)، وإلهاً ظاهراً شريراً (إله العهد القديم) والإله الظاهر هو أيضاً الإله الصانع الذي خلق هذا العالم المادي.

والغنوصية ذات أصول يهودية، وأصبحت بُعْداً أساسياً في اليهودية الحاخامية، وفي تراث "القبالة"، وهي في واقع الأمر، هي النموذج المتكرر والكامن وراء معظم (إن لم يكن كل) الفلسفات والأنساق الحلولية الكمونية (الروحية والمادية) عبر التاريخ، ومن ذلك العلمانية الشاملة، وهي أهم تعبير عن الواحدية الكمونية، وعن التزعة الطبيعية المادية وأكثرها تبلوراً، ولذا

أصبحت كلمة: "غنوصية" في اللغات الغربية علماً على المذاهب الباطنية: وعلى المرطقات الجوهرية، التي تقف على الطرف النقيض من العقائد السماوية التوحيدية.